مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٩: ٢-١٢)

يا إخوةُ إنَّ خاتَم رسالتي هو أنتم في الربّ* وهذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني* ألعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نأكُلَ ونشرَب* ألعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نجولَ بامرأةٍ كسائرِ الرسلِ وإخوةِ الربِّ وصفا* أم أنا وبرنابا وحدَنا لا سلطانَ لنا أن لا نشتَغِل* مَن يتجنَّدُ قطُّ والنفقةُ على نفسِه. مَن يغرِسُ كرماً ولا يأكُل من ثمرِه. أو مَن يرعى قطيعاً ولا يأكُل من لبنِ القطيع* ألعلّي أتكلَّم بهذا بحسبِ البشريَّة أم ليس الناموسُ أيضاً يقولُ هذا* فإنَّه قد كُتِب في ناموسِ موسى لا تَكُمَّ ثوراً دارساً. ألعلَّ اللهَ تُهِمُّه الثيران* أم قال ذلكَ من أجلِنا لا محالة. بل إنَّما كُتِب من أجلنا. لأنَّه ينبغي للحارثِ أن يحرُثَ على الرجاءِ وللدارسِ على الرجاءِ أن يكونَ شريكاً في

الرحمة والعدل

إنجيل اليوم يتحدث عن رحمة الرب. ولعل النص الذي سمعناه يشدِّد على جوانب منها، من خلال مقارنتها بالمفهوم العدلي البشري بوجهه القانوني الصرف من ناحية الثواب والعقاب. نحن نعرف أن الإنسان مسؤول عن أفعاله، أي أن أفعاله الماضية أو الحاضرة لها آثار مستقبلية عليه أو أثمان تؤدى عنها لاحقاً. العدل البشري يقيّد المستقبل البشري بنتائج الأفعال أو الأخطاء السابقة، فخطايا الإنسان وأخطاؤه تستمر بمطاردته حتى يؤدي عنها الحساب. أما الرحمة الإلهية فهي تتميَّز عن تلك البشرية بكونها لا تسمح لأخطاء الماضي بأن تترك أثراً على مستقبل الإنسان إذا تاب هذا الإنسان عن خطاياه.

يقول النبي داود في المزمور ١٠٣ الذي نقرأه في صلاة سَحَر كل يوم: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي مكافآته، الذي يغفر جميع آثامك، الذي يشفي جميع أمراضك، الذي يكللك بالرحمة والرأفة، الذي يُشبع بالخيرات شهواتك فيتجدد كالنسر شبابك». كيف يكون ذلك؟ يجيب داود: «الرب لا يحقد إلى الدهر... هو رحوم ورؤوف وطويل الأناة... ليس يصنع معنا على حسب خطايانا ولا يجازينا بحسب آثامنا لأنه كبعد السماء عن الأرض قويت رحمته على الذين يحبونه وكبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا. وكما يترأف الأب على البنين يترأف الله على خائفيه».

العدد ٣٢/٢٠١٠

الأحد ٨ آب

تذكار القديس إميليانوس المعترف

أسقف كيزيكُس

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الحادي عشر

الرحمة وجذرها «الرحم» تعني مكان تكوين حياة الإنسان. بمعنى أن الرحمة تُعطي حياة جديدة لمن رُحِمَ. والله برحمته لا يقيّدنا بمعاصي ماضينا بل إنه يزيلها بإماتته لماضينا وبإعطائنا حياة جديدة. الرحمة مرتبطة بالحياة. فلنلاحظ كيف أن هذا العبد الشرير عند محاسبته لزميله مطالباً إياه بدين بسيط وضع يديه على عنقه ليخنقه. مَن يحاسب الآخر يخنقه، يقطع عنه هواء الحياة ليسحبها منه. المحاسبة القانونية تقود إلى الموت أما الرحمة فهي حياة جديدة.

ولنقارن أيضاً تصرّف هذا العبد

الرجاء* إن كُنَّا نحنُ قد زَرَعنا لكم الروحِيَّات أفيكونُ عظيماً أن نحصُدَ منكم الجسديَّات* إن كان آخرونَ يشتركونَ في السُلطانِ عليكم أفَلَسنا نحنُ أَولى. لكنَّا لم نستعملْ هذا السلطانَ بل نحتمِلُ كلَّ شيءٍ لئلاَّ نُسبِّبَ تعويقاً ما لبشارةِ المسيح.

الإنجيل

(متى ١٨: ٢٣–٣٥)

قال الربُّ هذا المَثَل. يُشبِه ملكوتُ السموات إنساناً مَلِكاً أراد أن يحاسِبَ عبيدَهُ* فلمَّا بدأ بالمحاسبةِ أُحضِر إليهِ واحدٌ عليهِ عشرةُ آلافِ وزنةٍ* وإذ لم يكن له ما يوفي أَمَرَ سيّدُهُ أن يُباعَ هو وامرأتُهُ وأولادُهُ وكلُّ ما له ويوفى عنهُ* فخرَّ ذلكَ العبدُ ساجداً له قائلاً تمهَّل عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لك* فَرَقَّ سيّدُ ذلك العبدِ وأَطلقَهُ وترك له الدَّين* وبعدما خرج ذلك العبدُ وجدَ عبداً من رُفقائهِ مديوناً له بمئَةِ دينارٍ فأمْسَكَهُ وأخذ يَخنُقُه قائلاً أوفِني ما لي عليك فخرَّ ذلك العبدُ على قَدَميهِ وطلب إليه قائلاً تمهَّل عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لك* فأبى ومضى وطرحه في السجن بتصرّف سيّده. لقد ترك له المَلِك كل ماضيه، أعطاه حياة لا صكّ فيها بدل دين قديم. مزق له الصّك المكتوب وأعطاه حياة حرّة. لم يأمر بسجنه كما طلب هو لرفيقه. الرحمة تعني الحرية أيضاً. مَن يرحم الناس يدفع بهم إلى الحياة وإلى الحرية، إلى الحياة الحرة.

لماذا يتصرّف الله مع الإنسان على هذا النحو؟ لماذا يعطي الله للخاطئ حياة جديدة؟ لماذا يعطيه حريته من جديد؟ الجواب بسيط وهو أن واهب الحياة لا يريد أن يحجبها عن مخلوقاته ولأن حياة الإنسان هي من نَفَس الله الذي نفخ في أنف الإنسان من نَفسِه فأعطاه روحاً حيّة لا يغلبها موت.

نحن مخلوقون للحياة ولسنا متوجّهين إلى الموت. لذلك لا تخافوا من الذي يقتل الجسد بل من الذي يقتل الروح. لا تنظروا إلى خطاياكم وكأنها قدر محتوم تستقرون فيه. انظروا إلى واهب الحياة فتحيون وبقوته تغلبون الخطيئة والموت.

حياة الإنسان مكتوبة بحريّة الأبناء لا بعبودية العبيد، لذلك فلا يحدّ الله من حرية الإنسان وإن كان هذا الأخير قد أخطأ إليه.

هل هذا يعني أننا مهما خطئنا سنخلص؟ لا نستهين برحمة الله. لأن من يستهين برحمة الله يستبعدها عن نفسه، يفقدها، ذلك أن رحمة الله للإنسان هي علامة حبّه للإنسان. والحب لا يقابَل إلا بالحب.

الخطيئة هي أن تجرح الحب. «أفما كان عليك أن ترحم رفيقك كما رحمتك أنا». مصير من لا يرحم هو الوقوع بين أيدي المعذبين حتى يوفي جميع ما عليه. لذلك يختم السيد مَثَله بالقول: «هكذا أبي السماوي يصنع بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاّته».

الرحمة عطية الله للإنسان وهي تكتسب عمقها بالحرية، حرية قبول نعمة الحياة بكل ما فيها من فرح وألم. طوبى لمن يفهم نِعَم الرب عليه، هذا يزيده الرب نعمة فوق نعمة ويسكب عليه من مجده مجداً وبركات.

«مخافة الله» عند القديس دوروثاوس

في الثالث عشر من شهر آب نعيّد للقديس دوروثاوس الغزّاوي الذي اختبر حياة الطاعة المباركة في دير بالقرب من مدينة غزة. بعد ولادته في أنطاكية ونشأته على حبّ العلم، تحوّلت رغبته في العلوم الدنيوية إلى شغف لاقتناء الفضائل. انضم إلى حياة الرهبنة باكراً وسعى لقطع مشيئته عائشاً بالطاعة ومعلّماً أن قطع المشيئة هو الطريق المختصر الذي يؤدي إلى الكمال. أسّس مستوصفاً للدير وأوكلت إليه مسؤولية إدارته نظراً للدروس الطبيّة التي تلقاها في شبابه. إعتنى بالمرضى بتفانٍ كامل وحافظ على تواضعه وسكونه ضمن اضطرابات العمل. بعد انتقال أبويه الروحيَّين برصنوفيوس الشيخ ويوحنا الملقّب بالنبي، عمد الأب دوروثاوس إلى تأسيس دير جديد بين غزة وميّوما حيث أرشد تلاميذه الروحيين بتمييز ومحبة مشدّداً على

حتى يوفيَ الدَّين* فلمَّا رأى رُفقاؤه ما كان حَزِنوا جدًّا وجاءوا فأعلَموا سيّدَهم بكل ما كان* حينئذٍ دعاهُ سيّدُهُ وقال لهُ أيُّها العبدُ الشريرُ كلُّ ما كان عليك تركتُهُ لك لأنَّك طلبتَ إليَّ* أفَما كان ينبغي لك أن ترحَمَ أنت أيضاً رفيقَك كما رحَمْتُك أنا* وغضِبَ سيّدُهُ ودفعهُ إلى المعذِّبينَ حتى يوفِيَ جميعَ ما لهُ عليهِ* فهكذا أبي السماويُّ يصنعُ بكم إن لم تترُكوا من قلوبِكم كلُّ واحدٍ لأخيهِ زلاَّتِهِ.

تأمل

إلى جانب تكريم الآخر، يلزمنا أن نُعير اهتماماً لمشاكله، لأنّ التكريم مع الاهتمام يخلق المحبة الأكثر حرارة. لا يكفي أن نحبّ بالقلب فقط، بل إنّ التكريم والاهتمام هما ضروريان.

يجب أن نعرف أنّ المحبة ليست أمراً إرادياً بل هي واجب، يجب أن تحبّ أخاك لأنه لديك قرابة روحية معه ولأن الواحد منكما هو عضو للآخر، وإن غابت المحبة يأتي الدمار.

عليك أن تحبّ أخاك لسببٍ آخر أيضاً وهو الربح والمنفعة، لأنك بالمحبة تحفظ ناموس الله كله، وهكذا الأخ الذي تحبّ يصبح محسناً لك.

التواضع وقطع المشيئة أكثر من النسك الجسدي الكبير.

وردت إلينا تعاليم الأب دوروثاوس وكتاباته مجموعةً في كتاب «التعاليم الروحية» الذي يضمّ مجموعة مقالات حول المبادئ العملية للحياة الرهبانية. تجمع تعاليمه البساطة في التعبير إلى الحكمة الفائقة ولذلك هي تصلح كمرجع لكل مجاهد في الكنيسة يبتغي النمو الروحي، راهباً كان أم علمانياً. «مخافة الله» هي من المواضيع البارزة التي يطرحها القديس دوروثاوس والتي كثيراً ما يُساء فهمها من الناس في أيامنا هذه. يقول الإنجيلي يوحنا في رسالته الأولى الجامعة إن المحبة الكاملة تطرح الخوف خارجاً (١ يو ٤: ١٨)، إنطلاقاً من هذه الآية يوضح القديس دوروثاوس وجود نوعين من الخوف: الأول للمبتدئين في الحياة الروحية والثاني للقديسين الذين بلغوا كمال المحبة. المبتدئ يعمل الخير خوفاً من القصاص أو طَمَعاً بالمكافأة، في حين أن الكامل يعمل مشيئة الله لأنه يحبّه ويبتغي رضاه. مَن يحب الله محبّةً كاملة حقيقية يتخطى الخوف من العقاب، إذ إن تذوّق حلاوة الوجود مع الله يجعل القديسين ينتقلون إلى النوع الثاني من مخافة الله أي الخوف من فقدان نعمة البقاء مع الله. هذه المخافة الكاملة الناتجة عن المحبة الكاملة تطرح المخافة البدائية إلى الخارج، لكن وبحسب القديس دوروثاوس، يستحيل الوصول إلى المخافة الكاملة بدون اجتياز المخافة البدائية.

عندما يسعى الإنسان لإرضاء الله يختبر واحدة من الحالات الثلاثة التالية: حالة العبد الذي يخاف عقاب سيّده، حالة الأجير الذي يتوقع المكافأة، أو حالة الإبن الراشد الذي يعمل مشيئة ابيه لأنه يحبّه. لقد قال الله لإبراهيم عندما كان مزمعاً أن يقدّم ابنه وحيده إسحق ذبيحة له: «الآن علمت أنك خائفٌ الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني» (تك ٢٢: ١٢). رغم كل ما فعله إبراهيم من طاعة وتخلٍّ عن الأملاك والذهاب إلى أرض غريبة، لم تظهر المخافة الكاملة إلاّ في لحظة المحبة الكاملة التي تجلت عندما ضحى بأعز ما عنده حبًّا بالله. لقد تمّم إبرهيم مشيئة الله لا خوفاً من العقاب أو توقّعاً للمكافأة بل لأنه يحب الله ويخشى أن يفعل ما ينافي محبّة المحبوب. لا يتصرّف القديسون بدافع الخوف، بل يخشون بدافع المحبة.

يعلّم النبي داود في المزامير عن الخطوة الأولى في الحياة الروحية بقوله: «بدء الحكمة مخافة الله» (مز ١١١: ١٠). يتدرّج المؤمن من المخافة البدائية إلى المخافة الكاملة عابراً في ثلاث حالات: بداية يبتعد عن الشر خوفاً من العقاب، ثم يحاول أن يعمل الخير متوقّعاً المكافأة، وينتهي إلى تذوّق الخير الحقيقي بمعونة الله فيأبى أن ينفصل عنه. «هلمّ أيها البنون استمعوا إليّ فأعلّمكم مخافة الرب» (مز ٣٤: ١١)، بهذه الكلمات يدعونا النبي داود لتعلّم مخافة الله من خلال الإبتعاد عن الشر وفعل الخير،

كلّ مَن لديه محبة لا يضمر الشرّ للقريب، وبما أنّ المحبة هي إتمام وصايا الله كلّها، فلديها ميزتان: من جهة تجنّب الشر ومن جهةٍ أخرى فعل الخير. المحبّة هي إتمام وصايا الله ليس فقط لأنها خلاصة واجباتنا المسيحية كلها بل لأنها تجعل تنفيذها سهلاً.

المحبة دين لا يُوفى أبداً، ومهما عملنا لإيفائه يزداد هو باضطراد. عندما نتكلّم على ديون مستحقة، نعجب بمن ليست لديهم ديون ولكن عندما نتكلّم على دَين المحبة، نضبط أولئك الذين يدينون بالكثير، لذلك يكتب الرسول بولس أيضاً: «لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاَّ بأن يحب بعضكم بعضاً» (رو ١٣: ٨). يريد أن يعلّمنا بهذه الأقوال أن دين المحبة يجب أن نوفيه دائماً وأن نكون مديونين به في الوقت نفسه. يجب ألا نتوقف أبداً عن إقراض المحبة طالما أننا على قيد الحياة... المحبة حاجة مستمرة، كما قلت، وهي لا تُوفى أبداً، لأنّ هذه الحاجة تحفظ حياتنا أكثر من أيّ أمر آخر وتربطنا بشكل وثيق.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أي الحالة الأولى والثانية: «حِدْ عن الشرّ واصنع الخير... عينا الرب نحو الصدّيقين وأذناه إلى صراخهم، وجه الرب ضد عاملي الشرّ ليقطع من الأرض ذكرهم» (مز ٣٤: ١٤–١٦). بعد أن يحيد الإنسان عن الشر في حياته صانعاً الخير، يهاجمه العدو أي الشيطان بشتّى أنواع التجارب: «كثيرة هي بلايا الصدّيق ومن جميعها ينجّيه الرب» (مز ٣٤: ١٩). في وقت الشدائد يعين الرب الإنسان المجاهد، هذا يفرح بنعمة الرب وبفعل الخير فيتذوّق السلام تدريجياً ويعمل على أن يبقى ساكناً فيه قدر المستطاع، هكذا يصبح إبناً لإله السلام بالتبني: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون» (مت ٥: ٩)، هذه هي مخافة الله الكاملة.

بعد تحديد ماهية المخافة الأوليّة والمخافة التامة، يوضح القديس دوروثاوس من أين تتأتى مخافة الله وماذا يجعلنا نبتعد عنها. يقتني الإنسان مخافة الله بتذكّره الموت والدينونة، بفحصه كل يوم لأفعاله، بحفظ نفسه من الدّالة وبعيشه مع مَن يخاف الله. في المقابل، يفقد الإنسان مخافة الله عندما ينسى الموت ولا يفحص أفعاله متصرّفاً بدالّة مع الجميع ومخالطاً أيًّا كان. سُئل الأب أغاثون عن مدى سوء اقتناء الدالّة فأجاب: «ليس هناك هوى أسوأ من الدالّة لأنها أم الأهواء كلّها». إن الدالّة التي تتحكّم بمعظم تصرّفاتنا تطرد عن النفس مخافة الله. لا يكمن الخطر فقط في الدالّة نحو الله، بل أيضاً في الدالّة المفرطة بين الناس التي تطرد الإحترام المتبادل وتجعل الكلام غير اللائق مقبولاً والإساءة للآخرين أمراً مستسهلاً، وهذا ما نشهده بأسف في مجتمعنا اليوم.

إثر الحديث عن مخافة الله، نتذكّر أنّه في كلّ قداس إلهي، يدعو الكاهن المؤمنين للتقدّم إلى المناولة معلناً: «بخوف الله وإيمان ومحبة تقدّموا». بناء على هذه الدعوة يتوجّب على كلِّ مؤمن أن يختلي بنفسه ليرى إن كان يخاف الله أم لا، وهل هو في مرحلة الخوف من العقاب أو الخوف من فقدان المحبة الكاملة؟ هل الدالّة المفرطة تتحكم بعلاقتنا بالله وبالآخرين أم الرصانة والإحترام والمحبة؟ إن القديس دوروثاوس الغزّاوي يدعونا للتعلّم من سفر الجامعة القائل: «إتّقِ الله واحفظ وصاياه فإنّ هذا هو الإنسان كلّه» (جا ١٢: ١٣).

عيد رقاد السيدة

بمناسبة عيد رقاد سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء السبت ١٤ آب وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ١٥ آب في كاتدرائية القديس جاورجيوس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb